مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية المجلد 09 العدد 13 جويلية 2018 م ذو القعدة 1439هـ
ص ص: 11- 32

❁ لزومُ الدِّرَاية لمَن رامَ إقراء القُرآن والرِّواية

The need for acquaintance for those who aspire to recite the Quran and narration

✍ **د. مهدي دهيم**[1]

كلية العلوم الشرعية–مسقط، سلطنة عمان، mahdi.dehim@gmail.com

تاريخ النشر: جويلية 2018م/ ذو القعدة 1439هـ.

الملخص:

يتحدَّث البحث عن اهتمام الصحابة بالقرآن الكريم وعناية علماء الأداء والقراءة بتلقِّي القرآن الكريم وقراءاته مع بيان العلوم اللازمة لمن رام، وانتحل صنعة الإقراء، ومحاولة إبراز نصوص علماء التجويد والأداء في ذلك، وتعريف مصطلح الرواية والدراية ، والعلاقة بينهما، وذكر معنى المقرئ والقارئ، ويكمن أهمية البحث في أنَّ الفاحص والناظرَ في الساحة القرآنية يلمسُ ضعفاً في جانب الدراية عند بعض المتصدِّرين في العصر الحاضر؛ مما يوجب تنبيها وتنويها بأهمية بعلوم الدراية عند أهل الأداء المتقدمين كاللغة ومخارج الحروف وصفاتها وغير ذلك، متبعا في عرض البحث المنهج التاريخي والاستقرائي، وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث ثم الخاتمة، فالتمهيد فيه أهمية الموضوع وسبب اختياره ومنهج البحث وخِطَّته، أما المبحث الأول ففيه التعريف ببعض المصطلحات الرواية، الدراية، أهل الأداء، المقرئ، القارئ، والمبحث الثاني فيه علاقة الرواية بالدراية، والثالث فيه: عناية علماء الأداء بالدراية حال التلقي والرواية، ثم الخاتمة والتي فيها أهم نتائج البحث وتوصياته ومن أهمها أنَّ الشيخ الماهر الجامع بين الرواية والدراية المتفطن لدقائق الخلل في المخارج والصفات، الحافظ لمتون التجويد والقراءات، الفاهم لدلائلها ومقاصدها أعز من الكبريت الأحمر، كما نصَّ على ذلك المتقدمون، حاجة القراء المتصدرين إلى نصيب وافر من الدَّراية مع التلقي والمشافهة والرواية؛ ليؤمَن الوقوع في الزلل والخطأ حال التعليم والتلاوة.

الكلمات المفتاحية: رواية؛ دراية؛ إقراء؛ قرآن.

[1] المؤلف المرسل

Abstract:

The research discusses the interest of the companions "Sahabah" in the Holy Quran and the care of the scholars of reporting and reading to learn the Quran and its readings with a clarification of the sciences necessary for those who wish to, and those who work as reciters, and attempt to highlight the texts of the Tajweed and reporting scholars, and define the term of the narration and acquaintance, and the correlation between them, and the meaning of the reciter and the reader. The importance of this study is that the examiner and scholar of the Qur'anic field will find weakness in the acquaintance of some of the leaders in the present age. This necessitates an alert and indication of the importance of acquaintance for the advanced reporters, such as language, articulatory phonetics, descriptions, etc., followed by the historical and inductive method. The research is divided into an introduction, a preface, three sections, and then a conclusion. The preface examines the importance of the subject, the reason of selection of that particular subject, the methodology of the research, and its plan. The first section examined the definition of some terms such as narration, the acquaintance, the reporters, the reciter and the reader, while the second section clarifies the correlation between narration and acquaintance. The third section dealt with: the care of scholars of reporting to the acquaintance of learning and reciting, and then the conclusion, which included the most important results of the research and recommendations, the most important of which is that the skillful Sheikh who bring together the narration and acquaintance and who is aware of the imbalance in the phonetics and features, who memorizes the texts of Tajweed and readings, and their purposes is considered very distinguished Sheikh, as stipulated by the advanced scholars, and the need of leading reciters to share a lot of acquaintance with the learning, the oral interlocution and the narration to be secured from errors and mistakes when teaching and reciting.

Keywords: Narration; acquaintance; recitation; Quran.

مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية المجلد 09 العدد 13 جويلية 2018 م ذو القعدة 1439هـ
ص ص: 11- 32

مقدِّمة :

لقد حرصَ الصحابة –رضوان الله عليهم– على تلقِّي القرآن الكريم مِنْ فِي رسول الله ﷺ، ثم من كبار الصحابة–رضوان الله عليهم– مُتَّبعين في ذلك الكيفية الصحيحة في نقله وأدائه، محافظين على حروفه ورسمه، وأوجه قراءاته، وتناقله السادة القراء من بعدهم حرفاً حرفاً، وتجرَّدوا لنقله وروايته، قال الحافظ ابن الجزري (ت833هـ)–رحمه الله تعالى–: «...ولما خصَّ الله تعالى بحفظه من شاء من أهله، أقام له أئمةً ثقات تجردوا لتصحيحه، وبذلوا أنفسهم في إتقانه وتلقوه من النبي ﷺ حرفاً حرفاً، لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً، ولا إثباتاً ولا حذفاً ولا دخل عليهم في شيء منه شكٌّ ولا وهمٌ، وكان منهم من حفظه كله، ومنهم من حفظ أكثره، ومنهم من حفظ بعضه، كلُّ ذلك في زمن النبي ﷺ»[2]

وقد بلغ حرصُ أئمة الأداء على التَّلقي والمشافهة، أنهم يثبتون أسانيدهم التي تلقوا بها القرآن رجلاً عن رجل إلى رسول الله ﷺ، يثبتون هذه الأسانيد في مؤلفاتهم وكتبهم زيادة في توثيق الرواية، وبياناً لصحة النقل والتحمُّلِ[3].

وانطلاقاً من عناية علماء التجويد والقراءة بالتلقي والمشافهة، ومَعرِفتهم بوسائل علم القراءة وَمقاصدها، كان لزاماً على من رام تعليم القرآن الكريم أو القراءات القرآنية أن يُوطِّنَ نفسه بالعلم والفهم؛ لأنَّ الدراية الكافية، والمعرفة الجيدة بالعلوم التي يتخصص بها المدرس، تعدُّ مطلباً مُهمًّا من مطالب التَّأهُّل للتعليم، وإيصالُ العلم بأمانة للآخرين متوقف على التأسيس المتين، والفهم السليم.

موضوع البحث وتساؤلاته:

يتحدَّث البحث عن اهتمام الصحابة بالقرآن الكريم وعناية علماء الأداء والقراءة بتلقِّي القرآن الكريم وقراءاته مع بيان العلوم اللازمة لمن رام ذلك، وانتحل صنعة الإقراء، ومحاولة إبراز ذلك من خلال الإجابة عن السؤال التالي:

ما هي العلوم التي يلزمَ المقرئ أن يوطن نفسه بتعلُّمها للتصدُّر والتعليم؟

ويستلزم هذا السؤال التساؤلات التالية:

- ما مفهوم الرواية، والدراية إذن عند علماء الأداء والتلاوة؟ وما العلاقة التي بينهما؟، وما هي العلوم المتعلقة بجانب الدِّراية؟ وهل لعلماء التجويد والأداء عناية بذلك؟
- وإذا تعارضت الرِّواية مع الدِّراية فما المقدَّمُ حال تلقِّي وتعليم القرآن الكريم وقراءاته؟.

ومن خلال هذا البحث أحاول الإجابة عن هذه الأسئلة المطروحة.

ممَّا حدا بي إلى اختيار هذا الموضوع مجموعة من العوامل المتضافرة والتي منها:

- أهمية الرواية عند القراء؛ فهي الأصل في ثبوت القراءة.
- تذكير –نفسي ابتداء– والمشايخ المتصدرين للإقراء بضرورة تأهيل الطلبة المتعلمين لتحمُّل الإجازة القرآنية.
- أنَّ الفاحص والناظرَ في الساحة القرآنية يلمسُ ضعفاً في جانب الدراية عند بعض المتصدِّرين.
- عناية أهل الأداء المتقدِّمين بعلوم الدراية كاللغة ومخارج الحروف وصفاتها وغير ذلك.
- تنصيص علماء القراءة على جانب الدِّراية؛ إذ بها تُحرسُ الرِّواية.

منهج البحث: لقد سلكت في هذا البحث المنهج العلمي المتعارف عليه في كتابة البحوث العلمية، وفيما يأتي أهم معالمه:

المنهج التاريخي: وذلك بتتبع نصوص أئمة القراءة والتجويد من خلال الكتب الأصيلة ابتداء من عصر التدوين–حسب ما وقفت عليه–.

المنهج الاستقرائي: وذلك بجمع نصوص الأئمة المنقولة–حسب ما وقفت عليه–، وتصنيفها وتحليلها وتوظيفها بما يخدم أهداف البحث ومتطلباته.

خطة البحث: قسمتُ البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث ثم الخاتمة:

المقدَّمة: وفيها أهمية الموضوع وسبب اختياره ومنهج البحث وخِطَّته.

التمهيد وفيه: عناية الصحابة ﷺبالقرآن الكريم.

المبحث الأول: تعريف وبيان: الرواية، الدراية، أهل الأداء، المقرئ، القارئ.

المبحث الثاني: علاقة الرواية بالدراية.

المبحث الثالث:عناية علماء الأداء بالدراية حال التلقي والرواية.

ثم **الخاتمة:** وفيها أهم النتائج والتوصيات.

مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية المجلد 09 العدد 13 جويلية 2018 م ذو القعدة 1439هـ
ص ص: 11- 32

التمهيد وفيه: عناية الصحابة ﷺ بالقرآن الكريم:

لقد تلقى الصحابة ﷺ القرآن الكريم عن النبي ﷺ فجعلوه نصب أعينهم، يتنافسون في حفظ لفظه، ويستبقون في فهم معناه، وجعلوه القصد الأسمى في حياتهم، ومتعبدهم في ليلهم، ونهارهم حتى كان يسمع لهم بقراءته دوي كدوي النحل، وكان عبد الله بن مسعود يقول: «لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله»[4]، وكانوا يرتلون القرآن، كما أمرهم ﷺ فقد أثنى صلوات الله وسلامه عليه على بعضهم من أصحاب الأصوات الندية، وأثنى على صنيعهم، ومنهم عبد الله بن مسعود ﷺ فقد طلب منه ﷺ أن يقرأ عليه فقال:« أقرأ عليك وعليك أنزل فقال: إني أحب أن أسمعه من غيري فقرأ عليه من سورة النساء حتى إذا أتى هذه الآية: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) [النساء: 41] قال حسبك الآن، قال ابن مسعود: فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[5]، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «من أحبّ أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه بقراءة ابن أمّ عبد»[6] وابن أمّ عبد هو عبد الله بن مسعود كان يعرف بذلك، وكان بن مسعودﷺ معروفا بإتقانه للقراءة وحسن صوته وقوة تأثيره، وأثنى ﷺ على أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس فقال له:« يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»[7] وفي صحيح مسلم أنه ﷺ قال له: « لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»[8] وفي رواية أنَّ أبا موسى قال للنبي ﷺ: «أما والله لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرتها لك تحبيراً»[9]، ولأهمية التلقّي والمشافهة أرشد النبي ﷺ لأخذ القرآن عن أربعة من أصحابه المتقنين للقراءة، فقد روى الداني بسنده أنَّ النبي ﷺ قال: « اقرءوا القرآن من أربعة نفر: من ابن أمِّ عبد فبدأ به، ومن أبيٍّ بن كعب، ومن سالم مولى أبي حذيفة، ومن معاذ بن جبل»[10]؛ حيث أنَّ هؤلاء تفرَّغوا لأخذه مشافهة من رسول الله ﷺ ، فكانوا أكثر ضبطا لألفاظه وأتْقَنَ لأدائه، وإن كان غيرهم أفقه في معانيه منهم[11].

وقال ﷺ: «أقرؤكم للقرآن أبي بن كعب»، يريد عليه السلام أنَّه أحفظهم لحروفه وقراءاته، وأعلمهم بوجوهه ولغاته، وأحسنهم أداء، وأعدلهم لفظا، وأفصحهم لغة، وأتقنهم قراءة[12].

وروى الداني بسنده عن علي ﷺ أنه قال: « إنَّ رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما عُلِّم، وعن عبد الله قال: قال لنا عليٌّ بن أبي طالب ﷺ: إنَّ رسول الله يأمركم أن تقرؤوا القرآن كما عُلِّمتم»[13].

وقد نظم الإمام الداني هذا الأثر بعد ذكره للقراء السبعة بقوله:

فَهَـــؤُلَاءِ السَّـــبْعَةُ الْأَئِمَّـــةْ هُـــمُ الَّـــذِينَ نَصَـــحُوا لِلْأُمَّـــةْ

إلى أن قال:

إِذْ كَـانَ قَـدْ جَـاءَ عَـنِ الرَّسُـول فِي الْمُسْـــنَدِ الْمُتَّصِـــلِ الْمَنْقُـــولِ
بِأَنَّـــهُ قَـــالَ إِذَا قَـــرَأْتُمْ فَبِالَّـــذِي عَـــنِّيَ قَـــدْ عَلِمْـــتُمْ
فَاسْتَمْسِـكُوا لِـذَا بِمَـا لَـدَيْهِمْ عَـــنِ الَّـــذِينَ عَرَضُـــوا عَلَـــيْهِمْ
واتَّصَـــلَتْ قِـــرَاتُهُمْ بِالْمُصْـــطَفَى إِذْ كَـــابِرٌ أَخَـــذَهَا عَـــنْ مُرْتَضَـــى[14]

قال أبو الكرم الشَّهْرَزُوري (ت550هـ): «فقد أُمرنا أن نقرأ كما عُلِّمنا وما أخذناه عن شيوخنا، وما أخذه شيوخنا عن شيوخهم، وما أخذه شيوخهم عن شيوخهم إلى رسول الله ﷺ»[15].نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يقتفي آثارهم، ويتبع نهجهم في تعلم القرآن وتعليمه.

المبحث الأول: تعريف وبيان: الرواية، الدراية، أهل الأداء، المقرئ، القارئ:

الرِّواية: الرِّواية لغةً مصدر من الفعل: (روي) يروي، يقال: روى الحديثَ والشعر يَرْوِيهِ رِوَايةً، حملَهُ ونقَلَهُ، وَتَرَوَّاهُ، وقد رَوَّانِي إياه، ورجلٌ رَاوٍ، ورَاوِيةٌ كذلك، إذا كَثُرَتْ روايتُهُ، والهاء للمبالغة، ويُقال: رَوَّى فلانٌ فلاناً شِعْراً، إذا رَواهُ له حتى حَفِظَهُ[16].

ويُقالُ روَّى فلانٌ فُلاناً شعراً، إذا رواه له حتى حَفِظهُ للرِّواية عنه، وتقول: أنشِدْ القصيدة يا هذا، ولا تقُلْ: اروِهَا؛ إلا أن تأمره بروايتها، أي: باستظهارها[17].

وفي اصطلاح القراء يُراد بها **معنيان:**

الأول: الخلاف المنسوب للآخذين عن الإمام، ولو بواسطة كرواية ورش عن الإمام نافع، ورواية حفص عن الإمام عاصم، وسُمِّيت الرِّواية خلافاً؛ لأنها تخالف غيرها من الرِّوايات عن الإمام، فلو وافقتها لصارت قراءة[18].

الثاني: وهو مشافهة القارئ لقارئ آخر بأن يسمع منه، ويعرض عليه القرآن، ويُقرَّه على قراءته، **وهو المقصود هنا.**

الدِّراية: الدِّراية لغة: هي من الفعل دَرَى يَدْرِي، يُقال: دَريتُ الشيءَ أَدْرِيهِ: عَرَفْتُهُ، وأَدْرَيتُهُ غَيْرِي: إِذَا أَعْلَمتُهُ[19]، وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[20].

والمقصود بالدراية هنا ما يقابل الرواية، ومعناها عند القراء العِلمُ بأحكام علم التجويد ومسائله، وعلم القراءات وما يتصل بها من إلمام باللغة العربية والأسانيد وعلم الرسم، والقدرة على الأداء والحذق والتمييز بين الصحيح والسقيم من الطرق والروايات وغيرها[21]، قال الإمام ابن مجاهد عند حديثه عن طبقات القراء: «... ومنهم من فَهِمَ التِّلاوة، وعَلِمَ الرِّواية، وأخذَ حظاً من الدِّرَاية من النحو واللغة، فتُؤخَذُ عنه الرواية ويُقصدُ للقراءة.. »[22].

ودلالة الدراية في المعنى قريبة من معنى الدراية عند المحدِّثين كما ورد عند الإمام السيوطي: «علم الحديث الخاص بالدراية: علم يعرف منه حقيقة الرواية، وشروطها، وأنواعها، وأحكامها، وحال الرواة، وشروطهم، وأصناف المرويات، وما يتعلق بها»[23].

أهل الأداء: هم الذين تلقَّوا وسمعوا حروف من الشيوخ المتقنين، وأَدَّوها إلى غيرهم[24].

المقرئ: من عَلم بالقراءات أداء ورواها مشافهة عن الشيوخ الضابطين، بالإسناد المتصل إلى رسول الله ﷺ ، وتصدر لمجالس الإقراء وعُرف بها، فلو حفظ كتاب التيسر في القراءات السبع مثلا ليس له أن يُقرئَ بما فيه إن لم يُشافهه مَن شُوفِهَ به مسلسلاً؛ لأنَّ في القراءات أشياء لا تُحكمُ إلا بالسماع والمشافهة.

ومن شرطه أن يكون مسلما مكلفا ثقة مأمونا ضابطا متنزها عن أسباب الفسق وخوارم المروءة[25].

القارئ: هو طالب القرآن الراغب في أخذه وتلقيه، وإن كان المصطلح الشائع عند المتقدمين إطلاق القارئ على المقرئ المنتهي أيضا[26].

المبحث الثاني: علاقة الرواية بالدراية:

إنَّ المقصود بالرواية في القرآن الكريم معرفة كيفيات نطق كلمات القرآن الكريم المختلف فيها والمتفق عليها، ولا يمكن معرفة ذلك إلا بالتلقِّي والمشافهة بدءا من إخراج الحروف وبيان حركاتها، ومعرفة صفاتها، إلى ضبط أحوالها من تفكيك وإدغام، وإخفاء وإظهار، وتحريك وإسكان، وتسهيل وتحقيق، وتفخيم وترقيق، وإمالة وتقليل، وروم وإشمام، وغيرها مما لا يُحكمه إلا الأداء.

والمقصود من الدِّراية التفقُّه والعِلمُ في هذا المنطوق بمعرفة القواعد التي يبنى عليها، والأصول التي يرجع إليها، معرفةً نظرية محيطة به، صوتاً وصرفاً ونحوا وقراءةً ورسماً واختلافا واتفاقا.

والرواية والدراية مرجعهما النقل، والفرق بينهما أنَّ الرواية نقلٌ عملي باللقاء، والرؤية والمشافهة والعرض والسماع، والدراية نقل علمي يعتمد على النص مع التأصيل والتقعيد انطلاقا من نصوص الأئمة في ذلك.

ومن المعلوم أنَّ علم قراءة القرآن الكريم يشمل علمين: علم القراءات، وعلم التجويد، فالقراءات: «علمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بِعَزْوِ النَّاقلة»[27]، والتجويد: علمٌ يُبحثُ فيه عن مخارج الحروف وصفاتها، والأحكام الناشئة عن التركيب[28].

وعلم القراءات ينحصرُ القول فيه في وسائل، ومقاصد، والمراد بالوسائل المباحث المتعلقة بها من حيث بيان توقف علم القراءات عليها، وما تشتد الحاجة إلى معرفته وفهمه، وهي: الأسانيد، وعلم العربية، ومنه مخارج الحروف وصفاتها، والوقف والابتداء، والفواصل، وهو فنُّ عدد الآيات، ومرسوم الخط، والاستعاذة، والتكبير[29].

أمَّا المقاصد فهي ما يكون البحث فيه بالنظر إلى اتفاق القراء واختلافهم ويشمل ذلك (الأصول) و(الفرش)[30].

وذهب بعض العلماء إلى نسبة علم القراءات إلى الرِّواية، وعلم التجويد إلى الدِّراية، فقد قال مكي بن أبي طالب القيسي في كتابه الرعاية وهو يشير إلى كتب القراءات: «فتلك الكُتُبُ كُتُبٌ تُحفَظُ منها الروايةُ المختَلَفُ فيها، وهذا الكتابُ يُحكَمُ فِيه لفظُ التلاوة التي لا خلاف فيها، فتلك كُتُبُ روايةٍ، وهذا كتابُ دِرَايةٍ»[31].

ونقل القرآن فِطْنة ودراية أحسنُ منه سماعاً وروايةً، والرواية لها نقلُهَا، والدراية لها ضبطُهَا وعلمُهَا، فإذا اجتمع للمقرئ النقلُ والفِطْنةُ والدِّرايةُ، وجبت له الإمامة وصحَّتْ عليه القراءة، إن كان له مع ذلك ديانة[32].

وفي هذا المعنى ذكر الإمام ابن مجاهد تفاضل القراء في نقل القرآن وأدائه حيث قال: « فَمن حَمَلَة الْقُرْآن المعرب الْعَالم بِوُجُوه الْإِعْرَاب والقراءات الْعَارِف باللغات ومعاني الْكَلِمَات، الْبَصِير بِعَيْب الْقرَاءَات المنتقد للآثار، فَذَلِك الإِمَام الَّذِي يفزع إِلَيْهِ حفاظ الْقُرْآن فِي كل مصر من أَمْصَار الْمُسلمين، وَمِنْهُم من يعرب وَلَا يلحن وَلَا علم لَهُ بِغَيْر ذَلِك فَذَلِك كالأعرابي الَّذِي يقْرَأ بلغته وَلَا يقدر على تَحْوِيل لِسَانه فَهُوَ مطبوع على كَلَامه، وَمِنْهُم من يُؤَدِّي مَا سَمعه مِمَّن أَخذ عَنهُ لَيْسَ عِنْده إِلَّا الْأَدَاء لما تعلَّم لَا يعرف الْإِعْرَاب، وَلَا غَيره فَذَلِك الْحَافِظ، فَلَا يلبث مثله أَن ينسى إِذا طَال عَهده، فيضيع الْإِعْرَاب لشدَّة تشابهه، وَكَثْرَة فَتحه وضمه وكسره فِي الْآيَة الْوَاحِدَة؛ لِأَنَّهُ لَا يعْتَمد على علم بِالْعَرَبِيَّةِ وَلَا بصر بالمعاني يرجع إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا اعْتِمَاده على حفظه وسماعه، وَقد ينسى الْحَافِظ فيضيع السماع وتشتبه عَلَيْهِ الْحُرُوف فَيقْرَأ بلحن لَا يعرفهُ وَتَدْعُوهُ الشُّبْهَة إِلَى أَن يرويهِ عَن غَيره ويبرئ نَفسه، وَعَسَى أَن يكون عِنْد النَّاس مُصدقا فَيحمل ذَلِك عَنهُ وَقد نَسيَه وَوهم فِيهِ وجسر على لُزُومه والإصرار عَلَيْهِ، أَو يكون قد قَرَأَ على من نسى وضيع الْإِعْرَاب، ودخلته الشُّبْهَة فَتوهم فَذَلِك لَا يُقَلّد الْقِرَاءَة وَلَا يحْتَج بنقله»[33].

قال أبو إسماعيل موسى بن الحسين المعدَّل في باب ذكر طبقات أهل الأداء: «وهي على ضربين صناعية وحقيقية، فالصناعية على ثلاثة أضرب: أحدها: أنَّ من أهل الأداء لكتاب الله الماهر النحرير، المتقِنُ للرِّواية والدِّراية، الذي قد نظر في وجوه القراءات وعللها، وفي فنون العربية واللغات، والتفاسير، والناسخ والمنسوخ، وفي غير ذلك من أحكام القرآن وعلومه، فهذا من الأئمة السَّادة يُعدُّ في الطبقة العالية من أهل الأداء.

ومنهم المجوِّد المتلقن من أفواه الأستاذين، المؤدي عنهم ما سمعه غير زائد فيه ولا ناقص منه، فمَثَله كالأعرابي المطبوع على لغته فهو لا يخرج عنها إلى غيرها.

ومنهم من اعتمد على صحيفة يطالعها، أو سواد كلمة يحفظها، من غير معرفة بالرواية ولا الدراية.

وأما الحقيقية فما قرأناه على الشيخ أبي القاسم خلف بن أحمد الحوفي، عن العتابي عن محمد بن علي بإسناده عن الحسن بن أبي الحسن البصري-رحمه الله- أنَّه قال: قرأ القرآن ثلاثة:

رجل اتَّخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يَطلُب به ما عند الناس، وقوم حفظوا حروفه وضيَّعوا حُدوده، واستدَرُّوا به الولاة واستطالوا به على أهل بلادهم، وقد كثر هذا الضرب في حملة القرآن لا كثَّرهم الله، ورجل قرأ القرآن فبدأ بما يعلم من أدواء القرآن فجعله على داء قلبه، فسهر ليله، وهملت عيناه، تسربلوا الخشوع وارتدَوا به، وركَدوا في محاريبهم وجثوا في برانسهم، فَبِهم يسقي الله الغيث، وينزل النصر ويرفع البلاء، والله لهذا الضرب في حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر»[34].

ومن هنا ألزم العلماء على المشتغلين بعلمي التجويد والقراءات إتقان علوم العربية حيث قال الإمام الداني (ت444هـ): «وهذا كله، وسائر ما ذكرناه قبل، لا تتمكن معرفته للقراء إلا بنصيب وافر من علم العربية، وذلك من آكِدِ ما يلزمهم تعلمه والتفقه فيه»[35]، وقال أبو العلاء العطار: «ثم اعلم أنَّ ما ذكرناه من الحِذقِ بالأداءِ، وما لم نذكره من مذاهب القراء، لا يوقف عليه، ولا يوصل إلى كيفيته إلا بإتقان العربية ومقاييسها، ومعرفةِ وجوهِ القراءات ورواياتها» [36].

وقال الإمام مكيُّ بن أبي طالبٍ (ت.437هـ): «والرِّوايةُ إذا أَتتْ بالنَّص في الكتبِ والقراءةِ كانت أقوى وأولى من رِوايةٍ لم تُنقلْ في كتابٍ ولا صَحِبها نصٌّ، وما نُقِلَ بِتلاوةٍ ولم يُؤَيِّدْهُ نصُّ كتابٍ فالوَهْمُ والغلَطُ مُمْكِنٌ ممَّن نَقَلهُ؛ إذ هو بشرٌ.

وإنَّما تعلَّقَ القراءُ بنصوصِ الكتبِ لأنَّه عندهم أثبتُ في الحفظِ؛ لأنَّ الحفظَ يدخُله الْوَهْمُ والشكُّ، فليس روايةٌ يَصحَبُها النقلُ والنصُّ في الكتب-من تأليف المتقدمين والمتأخرين- مثلَ روايةٍ لا يَصْحَبُهَا غيرَ أن يقول ناقلُها: كذلك قرأتُ، ولا يدخلُ قولُه بنصِّ كتابٍ»[37].

ويُؤخذ مما سبق تلازم الرواية والدراية حال التلقي والمشافهة، والرواية تكون مضبوطة بقواعد الدراية، مقيدة بنظامها، يرجع إليها عند الخطأ والتنازع؛ لأنَّ الرواية غير معصومة من الخطأ، ويمكن أن ينتشر الخطأ فيُنقل، ولا يُقَوِّمها إلا النصوص المدوَّنة في هذا الشأن، كما يرجع التالي عند نسيانه إلى مصحفه.

وفي حال تعارض الرواية والدراية يُقدَّم النص حينئذ لعدم احتمال نسبة الخطأ إليه، فإن لم يؤخذ به لم يكن لهذه القواعد والأصول والنصوص معنىً، يقول محمد بن أبي بكر المرعشي (ت. 1150هـ): «... وتجويد القرآن قد يُحَصِّلُهُ الطالب بمشافهة الشيخ الْمُجَوِّدِ بدون معرفة مسائل هذا العلم، بل المشافهة هي العمدة في تحصيله، لكن بذلك العلم يَسْهُلُ الأخذ بالمشافهة، وتزيد به المهارة، ويصان به المأخوذ عن طريان الشك والتحريف»[38] .

وقال المرعشي في شرح كلامه هذا، والتعليق عليه في كتابه بيان جهد المقل: « وقوله: (بمشافهة الشيخ)، قال في الصحاح: المشافهة المخاطبة من فِيكَ إلى فِيهِ، انتهى، أقول: فإضافة المشافهة إلى الشيخ من قبيل إضافة المصدر إلى الفاعل، أي بمشافهة الشيخ المجود إياه.

قوله: (هي العمدة)، يجيء بمعنيين: بمعنى المقصود، وبمعنى ما يعتمد عليه، والمراد الثاني؛ لأنَّ الإنسان كثيراً ما يعجز عن أداء الحروف بمجرد معرفة مخارجها وصفاتها من المؤلفات، ما لم يسمعه من فم الشيخ، لكن لَمَّا طالت سلسلة الأداء تخلل أشياء من التحريفات في أداء كثير من شيوخ الأداء، الشيخ الماهر الجامع بين الرواية والدراية المتفطن لدقائق الخلل في المخارج والصفات أعز من الكبريت الأحمر! فوجب علينا أن لا نعتمد على أداء شيوخنا كل الاعتماد، بل نتأمل في ما أودعه العلماء في كتبهم من بيان مسائل هذا الفن، ونقيس ما سمعناه من الشيوخ على ما أُودِع في الكتب، فما وافقه فهو الحق، وما خالفه فالحق ما في الكتب، كما صرح به في الرعاية، وهذه عبارتها: القراء يتفاضلون في العلم بالتجويد، فمنهم مَن يعلمه رواية وقياساً وتمييزاً، فذلك الحاذق الفطن...»[39].

وهذا الذي تقدَّمَ من لزوم الدراية للرواية ليس بدعاً من القول بل هو الذي دلَّت عليه نصوص علماء القراءة والأداء[40] فمن ذلك ما نقله الحافظ ابن الجزري عن أبي قاسم الهذلي البسَكري الجزائري عن ابن مجاهد قال: «لا تغترُّوا بكلِّ مقرئ؛ إذ الناس على طبقات: فمنهم مَن حفظ الآية والآيتين، والسورة والسورتين، ولا علم له غير ذلك، فلا تُؤخذ عنه القراءة، ولا تُنقل عنه الرِّواية، ولا يقرأ عليه، ومنهم مَن حفظ الروايات، ولم يعلم معانيها، ولا استنباطها من لغات العرب ونحوها، فلا تؤخذ عنه لأنه ربما يُصَحِّف، ومنهم من عَلِم العربيةَ، ولا يتَّبعُ الأثرَ والمشايخَ في القراءة، فلا تنقل عنه الرِّواية؛ لأنه ربما حسَّنت له العربية حرفاً ولم يُقرأ به، والرِّوايةُ مُتَّبَعةٌ، والقراءة سُنَّةٌ يأخذها الآخر عن الأوَّل، ومنهم من فَهِم التلاوة، وعَلِمَ الرِّواية، وأخذ حظاً من الدِّراية من النحو واللغة، فتُؤخذ عنه الرِّواية، ويُقصدُ للقراءة» .

وقد عقَّب الحافظ ابن الجزري على هذا النص بقوله: «... فحسبُكَ تمسُّكا بقول هذا الإمام في المقرئ الذي يُؤخذ عنه ويُقصَد»[41].

وأحْسَنَ ابن الطحان حينَ قال في مَن اشتغلَ بالرواية وأهمل الدراية: «فما تنفَعُ القارئَ الروايةُ، إذا قَصَّرَتْ به الدِّراية، فهو واقع اللحن في كلِّ حين، ولا عُذرَ له في جهالته عند أنصار الدين»[42].

المبحث الثالث: عناية علماء الأداء بالدراية حال التلقي والرواية:

لقد اعتنى أهل الأداء بالكيفية التي نزل بها القرآن من حيث النطق بحروفه، وألفاظه والوقف على كلماته ومعانيه، وسمعوا حروف القرآن كاملة من الشيوخ المتقنين، وأَدَّوها إلى غيرهم كما سمعوها، حِفَاظاً على الصِّفة المتلَقَّاةِ من الحضرة النبوية، وحرصاً منهم على عدم تَغَيُّر أصوات القرآن الكريم بتداول الألسنة المختلفةِ لها، وقيَّدوا في ذلك الآثار والأخبار الدالة على ذلك.

قال صاحب المصباح الزاهر: «لقد أوضح أئمة الأداء الماضين وقراء السلف المتقدمين التجويد في القراءة والتحقيق في التلاوة، ولم يتركوا لغيرهم في ذلك مسلكا، ولا فيما أوردوه تشككا» [43]. وقال جعفر بن إبراهيم السنهوري المقرئ-رحمه الله- (ت.894هـ): «والحاصل أنَّ معرفة التجويد لازمة مطلوبة في كل حال عند أهل الأداء، ولقد كان له في الصدر الأول خطبٌ عظيم وخطر جسيم، فينبغي للقارئ أن لا يهمل ذلك، فإنَّه يُقرئ وهو غيرُ قارئ» [44].

وقد جعل الإمام مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني مَن حقَّقَ اللفظ وجوَّده وعَلِمَ ماهية الحروف، وأدى حقَّها ومستحقَّها، وجرى في قراءته على أصل صحيح، ولفظ فصيح وفق ما ذكره في كتابه – الرعاية- سالماً من التقصير في لفظه آمناً من التحريف في قراءاته، وكان له الكتاب على تقادُم الأعصار ومرورِ الأزمان مقام المقرئ النَّاقدِ البصير الماهر النِّحْرير، حيث قال: «...فيجب على كلِّ مَن قرأ بأي حرف كان من السبعة أن يأخذ نفسه بتحقيق اللفظ وتجويده، وإعطائه حقَّه على ما نذكره مع كل حرف في هذا الكتاب، ويكون على تحفُّظ مما نَنُصُّه له، فيسْلَمَ حينئذٍ من التقصير في لفظه، ويأمن من التحريف في قراءته، ويجري في قراءته على أصلٍ صحيح ولفظٍ فصيح، فيكونَ الغالبَ على قراءته السلامةُ من الخلل، والبعدِ من الزللِ...، فمن ائتمَّ بكتابي هذا في تجويد ألفاظه وتحقيق تلاوته، ممَّن سَلِمَ مِن اللحن والخطأ، وضَبَطَ روايتَه التي يقرأُ بها، قام له هذا الكتابُ على تقادُم الأعصار ومرورِ الأزمان مقام المقرئ النَّاقدِ البصير الماهر النِّحْرير» [45]. وروى الداني بسنده عن سُليم قال حمزة-رحمه الله-: «إنَّ الرجل ليقرأُ القرآن فما يلحن حرفا، أو قال: ما يخطئ حرفاً، وما هو من القراءة في شيء»، والمراد أنه لا يُقيم قراءته على حدها، ولا يُؤدِّي ألفاظه على حقِّها، ولا يُوفِّي الحروف صفتها، ولا ينزلها منازلها: من التلخيص والتبيين، والإشباع والتمكين،...وغير ذلك من غامض القراءة، وخفي التلاوة، والذي لا يعلمه إلا المهرة من المقرئين، ولا يميزه إلا الحذَّاق من المتصدِّرين، الذين تلقَّوا ذلك أداء، وأخذوه مشافهة، وضبطوه وقيَّدوه، وميَّزوا جَليَّه، وأدركوا خفيَّه، وقليل في الناس هم [46].

قال أبو جعفر بن الباذش الغرناطي (ت540هـ): «صناعة الإقراء يحتاج مُنتحلُها إلى مجموع أشياء: منها: الأخذ عن ثقات الشيوخ، ومُشافهتُهم بالحروف، ومطاولةُ صُحبتهم، وحفظُ اختلاف القراء في الأصول وفي فرش الحروف، والمعرفةُ بأقوال أهل الأداء من متقدِّمٍ ومتأخِّرٍ، والإتقان لعباراتهم وتحصيلُ معانيها، والوقفُ على آرائهم، والمعرفةُ بتجويد التلاوة وتحقيقِ الأداءِ، ثم المعرفةُ بالمبادئِ والمقاطعِ، والتَّبحرُ في علم القراءات، وحجزُ كلِّ قارئ في قراءتهِ، فقد صارت هذه الصِّناعةُ إنما يُوصَفُ منتحلها بالاستقلال بها والاستضلاع إذا برَع في هذه الأجزاء التي عددنا،...ثم قال: وتلك الأشياء التي وصفنا يرجعُ قَوامُها إلى أمرين: أحدُهما: التبحر في علم اللسان، والثاني التلاوة على الشيوخ المقانع»[47].

إذ القراء يتفاضلون في العلم بالتجويد، فمنهم من يَعْلَمه روايةً ودرايةً، وقياساً وتمييزاً، فذلك الحاذق الفَطِنُ، ومنهم مَن يَعْرِفُه سماعاً وتقليداً، فذلك الوَهِنُ الضعيف، لا يلبثُ أن يَشكَّ ويدخله التَّحريف والتصحيف إذا لم يبْنِ على أصل ولا نقلَ على فَهْمٍ.

فنقل القرآن فِطْنةً ودرايةً أحسنُ منه سماعاً وروايةً، والرواية لها نقلُهَا، والدراية لها ضبطُهَا وعلمُهَا، فإذا اجتمع للمقرئ النقلُ والفِطْنةُ والدِّرايةُ، وجبت له الإمامة وصحَّتْ عليه القراءة، إن كان له مع ذلك ديانة[48].

وقال الحافظ ابن الجزري-رحمه الله تعالى-: «... والذي يلزَمُ المقرئ أن يتخلَّق به من العلوم قبل أن ينصب نفسه للإشغال أن يَعْلَم من الفقه ما يُصلح به أمر دينه، ولا بأس من الزيادة في الفقه، بحيث يُرشد طلبته وغيرهم إذا وقع لهم شيء، ويعلم من الأصول قَدْرَ ما يدفعُ به شبهة من يطعنُ في بعض القراءات، وأن يُحصِّلَ جانباً من النحو والصرف، بحيث إنه يوجِّه ما يقع له من القراءات، وهذان من أهمِّ ما يحتاج إليه، وإلا يُخطئ في كثير مما يقع في وقف حمزة، والإمالة، ونحو ذلك من الوقف والابتداء وغيره...وليُحصِّلَ طرفاً من اللغة والتفسير..، ويلزَمُه-أيضاً- أن يحفظ كتاباً مشتملاً على ما يُقرئ به من القراءات أصولا وفرشاً، وإلا دَاخَله الوَهَم والغلَط في كثير، وإن أقرأ بكتاب وهو غير حافظ له، فلابدَّ أن يكون ذاكراً كيفية تلاوته به حال تَلقِّيه من شيخِه، مستصحباً ذلك، فإن شكَّ في شيء، فلا يستنكف أن يسألَ رفيقه أو غيرَه ممن قرأ بذلك الكتاب»[49].

وقال كذلك عن ما يجب في حقِّ القارئ:«... وينبغي أن يفرد القراءات كلَّها، فإن أراد الجمع فلابدَّ من حفظ كتابٍ جامعٍ في القراءات، وعليه أن يحفظ كتاباً في الرسم، وليَعْلَم حقيقةَ التجويد، ومخارج الحروف، وصفاتها، وما يتعلَّق بها علماً وعملاً»[50] .

فلزم إذن على من تصدَّر للتعليم والإقراء أن يكون له نصيب وافر من الدَّراية مع التلقي والمشافهة والرواية؛ ليؤمَن الوقوع في الزلل والخطأ حال التعليم والتلاوة، وقد ذمَّ علماء القراءة من تلقَّن القرآن من مُعَلِّم ليس له معرفة بمسائل التلاوة ولا دراية بتجويد الألفاظ.

قال أبو مزاحم الخاقاني في رائيته:

فَمَا كُلُّ مَنْ يَتْلُو الْكِتَابَ يُقِيمُهُ وَلَا كُلُّ مَنْ فِي النَّاسِ يُقْرِئُهُمْ مُقْرِي[51]

والمعنى أنَّ كل من يحفظ القرآن من المصحف، أو تلقَّنه من مُعلم عامٍّ ليس له معرفة بالقراءة، ولا دراية بتجويد الألفاظ، إذا لم يعمل نفسه في طلب ذلك من أهله القائمين به، المشهورين بمعرفته، المضطلعين بتأديته، فهو غير تالٍ له على صوابه، ولا مقيم له على حدِّه، وإن مهر في حفظ سواده، ومتشابه قصصه؛ لأنَّه غير عالم بالأصول التي بمعرفتها يوصل إلى حسن الأداء لتلاوته، وبها يوقف على اليقين من صواب قراءته[52].

ولقد بيَّن الإمام أبو عمرو الداني مَن يُؤخذ عنه علم القراءة بقوله:

وَاطْلُبْ هُدِيتَ الْعِلْمَ بِالْوَقَارِ وَاعْقِدْ بِأَنْ تَطْلُبَهُ لِلْبَارِي
فَإِنْ رَغِبْتَ الْعَرْضَ لِلْحُرُوفِ والضَّبْطَ لِلصَّحِيحِ والْمَعْرُوفِ
فَاقْصِدْ شُيُوخَ الْعِلْمِ وَالرِّوَايَة وَمَنْ سَمَا بِالْفَهْمِ وَالدِّرَايَة
مِمَّنْ رَوَى وَقَيَّدَ الْأَخْبَارَا وَانْتَقَدَ الطُّرُقَ وَالْآثَارَا
وَفَهِمَ اللُّغَاتِ والْإِعْرَابَا وَعَلِمَ الْخَطَأَ وَالصَّوَابَا
وَحَفِظَ الْخِلَافَ وَالْحُرُوفَا وَمَيَّزَ الْوَاهِيَ وَالْمَعْرُوفَا
وَأَدْرَكَ الْجَلِيَّ وَالْخَفِيَّا وَمَا أَتَى عَنْ نَاقِلٍ مَرْوِيَّا[53]

وقال في وصف المقرئ المتصدر:

مِنْ مُقْرِئٍ مُنتَصِبٍ إِمَامِ وَعَالِمٍ بالنَّحْوِ ذِي تَمَامِ
وَمَاهِرٍ فِي الْعِلْمِ بِالتَّأْوِيلِ وَقُدْوَةٍ فِي مُحْكَمِ التَّنزِيلِ
وَفِي الْعُقُودِ وَأُصُولِ الدِّينِ وَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ ذِي
وَبَصَرٍ بالنَّقْلِ والرِّوَايةْ مُشْتَهِرٍ بِالْفَهْمِ والدِّرَايةْ
وَضَابِطٍ لِلْأَحْرُفِ الْمَشْهُورَةْ وَحَافِظٍ للطُّرُقِ الْمَنشُورَةْ[54]

فإذا كان القارئ بصيراً بالقراءة، حاذقاً في علم الأصول، عالماً بالجلي والخفي منها، كثير الرياضة للسانه، مع مداومة للدَّرس، واستعمال اللفظ بالحروف حتى يخرجَهَا من مواضعها، ويوفِّيها حظَّهَا الواجب لها، فهو في غاية إتقان القراءة، ونهاية في تجويد التلاوة[55].

وفي هذا يقول أبو مزاحم الخاقاني:

فَذُو الْحِذْقِ مُعْطٍ لِلْحُرُوفِ حُقُوقَهَا إِذَا رَتَّلَ الْقُرْآنَ أَوْ كَانَ ذَا حَدْرِ[56]

وروى الداني بسنده عن عاصم بن بهدلة، قال: «قلتُ للطفيل بن أبيٍّ بن كعب-رضي الله عنهم- إلى أي معنى ذهب أبوك في قول رسول الله ﷺ أُمرتُ أن أقرأ عليكَ القرآن قال: ليقرأَ عليَّ فآخُذَ ألفاظَهُ»، قال الإمام أبو عمرو الداني في بيان هذا الأثر: «وفي هذا الحديث أيضا أصل كبير في وجوب معرفة تجويد الألفاظ، وكيفية النطق بالحروف على هيْئَتِهَا وصِيغَتِهَا، وأنَّ ذلك لازمٌ لكل قرَّاء القرآن أن يطلُبُوه ويتعلَّمُوهُ، وواجب على جميع المتصدِّرينَ أن يأخذوه ويُعَلِّمُوهُ، اقتداء برسول الله ﷺ في ما أُمِرَ به، واتِّبَاعا له على ما أَكَّدَهُ بفعله؛ ليكون سنَّةً يتَّبِعُهَا القرَّاءُ، ويقتدي بها العلماءُ»[57].

فينبغي إذن لمن أخذ نفسه من القراء بالتحقيق واستعمال التجويد، اتباعا منه لمن أخذ نفسه به من أئمة القراءة، واقتداءه فيه أن لا يفرط في ذلك ولا يتعسَّف فيه، بل يكون جميع ما يلفظ به من الممدود والممكَّن، والمهموز والمشدَّد والمدغم والمظهر، والمفتوح والممال، والمحرك والمسكَّن، وغير ذلك، على وزنٍ ومقدارٍ لا يجاوز به الحدَّ، ولا المقدار الذي عَلِمَ من مذاهب القراء الأئمة، ولا يتعدَّى فيه المنهاج والطريق الذي كان عليه الأكابر من علماء هذه الصنعة[58].

وقال المقرئ عبد الوهاب القرطبي (ت461هـ): «...وهذا الضرب من اللحن، وهو الخفيُّ لا يعرفه إلا القارئ المتقِنُ والضابط المجوِّدُ الذي أخذ عن أفواه الأئمة ولَقِنَ من ألفاظ العلماء الذين تُرْضَى تلاوتُهم ويوثَقُ بعربيَّتِهم، فأعطى كل حرف حقَّه ونزَّله منزِلته وحدَّهُ» [59].

وقال الإمام أبو عمرو الداني: «...اعلموا أن التجويد لا يتمكَّن والتحقيق لا يتحصَّلُ إلا بمعرفة حقيقة النطق بالمتحرك، والمسكَّن، والمختلسِ، والمرامِ، والمشَمِّ، والمهموزِ، والمسهَّلِ، والمحقق، والمشدَّدِ، والمخفَّفِ، والممْدودِ، والمقْصورِ، والمبَيَّنِ، والمدْغَمِ، والمخْفَى، والمفْتُوحِ، والممَالِ،...»[60] وبعدما بين ذلك كله، نوَّه بضرورة معرفة تلكم المسائل فقال: «فجميع ما ذكرناه ووصفنا حقيقتَهُ من الأصول التي تتكرَّرُ، والفروع التي تترَدَّدُ، فالقراء مضطرُّون إلى علمه ومعرفته، ولا يتحقق لهم ذلك إلا بالمشافهة ورياضة الألسنِ، لغموضه وخفيِّ سرِّه» [61].

وعدَّ الشيخ أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي – رحمه الله– العلمَ بالتجويد أفضلُ من الجوهر، وأعزُّ عند العلماء من الكبريت الأحمر، ومتى لم يحققِّ القارئُ مسائله زالَ عن تأليفه وَرَصْفِه حيث قال: «...التجويد أفضلُ من الجوهر، وأعزُّ عند العلماء من الكبريت الأحمر، وهو حلية التلاوة و زينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، وردُّ الحرف من الحروف المعجم إلى مخرجه، وأصله، وإلحاقه بنظيره، وشكله، وإشباع لفظه، ولفظ النطق به؛ لأنّه متى ما كان بغير ما حَكَيتُ من وصفه زالَ عن تأليفه ورصفه، وليس بين التجويد، وتركه إلاّ رياضة مَنْ تدبره بقلبه، وقال الله جل جلاله مؤدِّباً لنَبِيّه ﷺ، وحاثّاً لأُمته على الإقتداء به: (ورتّل القرآن ترتيلاً)[62] يعني قطِّعه وفرِّقه تفريقاً»[63].

ونهى الأئمة عن الاعتماد في القراءة على المصحف دون التلقي من فم المحسن المجوِّد، مع العلم والفهم بحقائق مسائل التجويد والأداء؛ إذ لا يُسمى الذي يقرأُ من المصحف من غير سماع من القارئ قارئاً قال الإمام الداني: «كلُّ مقرئ متصَدِّرٍ إذا اعتمد فيما يُقرئُ به على ما يحفظُه من الصحف المبتاعة في الأسواق من غير أن يرويها، ولا يدري حقائقَ ما فيها من جلِيِّ العلم وخفِيِّه، ولم يجالس العلماءَ، ولا ذاكر الفقهاءَ، ولا أكثر العرض على القراء، والمتصدِّرينَ...، فليس بمقرئٍ في الحقيقة-وإن كان لقب الإقراء جارياً عليه، واسم المتصدِّر موسوماً به-؛ لغلبة الجهل على العامَّة، وأكثر الخاصَّة، وهو عن ذلك بمعزلٍ عند من يُقتدى به، ويُعتمدُ على قوله، وإن أطراهُ أهلُ الغباوة، ورفع منزلته الأصاغر من الطلبة»[64]. وروى أبو العلاء العطار بسنده إلى عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: «لا تأخذوا القرآن من مُصْحَفِيٍّ ولا العِلم من صَحَفِيٍّ، قال أبو زرعة: يعني من لم يقرأ القرآن ويتعلَّم من ألفاظهم، ويُجالسَ أهل العلم نقلاً وسماعاً وفهماً»[65] .

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج.

- الشيخ الماهر الجامع بين الرواية والدراية المتفطن لدقائق الخلل في المخارج والصفات، الحافظ لمتون التجويد والقراءات، الفاهم لدلائلها ومقاصدها أعز من الكبريت الأحمر،كما نصَّ على ذلك المتقدمون.
- حاجة القراء المتصدرين إلى نصيب وافر من الدَّراية مع التلقي والمشافهة والرواية؛ ليؤمَن الوقوع في الزلل والخطأ حال التعليم والتلاوة.
- تعويد الطالب حال التلاوة والأداء الجمع بين فهم مسائل التجويد وأصول الرِّوايات والقراءات مع التدريب والتطبيق.
- التوصية بتأهيل الطلبة الحافظين لكتاب الله لتحمل الإجازة القرآنية -سواء برواية واحدة أم بالقراءات- وذلك بعقد دورات علمية وتربصات دورية في علوم الدراية (من علوم اللغة والتجويد والقراءات)، مع الحفظ والفهم قبل التحمُّل والعرض.

فهذا ما يسر الله لي جمعه وترتيبه،

وصلى اللّه على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

الهوامش:

(1) المؤلف المرسل

(2) ينظر: النشر في القراءات العشر:1/12-13.

(3) ينظر: مثلا: التيسير في القراءات السبع:ص111، المستنير في القراءات العشر:1/203، إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربع عشرة:ص64، ومفردة يعقوب للرعيني:ص70.

(4) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد: ص 52.

(5) ينظر: صحيح البخاري:6/45.

(6) رواه الإمام أحمد في المسند:7 /359، وينظر: فضائل القرآن لابن كثير:155.

(7) ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري لا بن حجر العسقلاني:1 /416.

(8) ينظر: صحيح مسلم:1/546.

(9) ينظر: فضائل القرآن لابن كثير: 116

(10) ينظر: شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للإمام الداني:2/18، الجامع المفيد في صناعة التجويد:ص83.

(11) ينظر: فتح الباري:9/38-42.

(12)ينظر: شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للإمام الداني:2/12-13، الجامع المفيد في صناعة التجويد:ص84.

(13)ينظر: شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للإمام الداني:2/25، 43.

(14) ينظر: منبهة الإمام المقرئ أبي عمرو الداني:2/468-469.

(15) ينظر: المصباح الزاهر:1/280.

(16) ينظر: لسان العرب (روى)، الصحاح للجوهري مادة (روى).

(17) ينظر: لسان العرب مادة (روى).

(18) ينظر: معجم مصطلحات علم القراءات: ص222.

(19) ينظر: لسان العرب (درى)، تاج العروس، المعجم الوسيط مادة (درى).

(20) يونس، 16.

(21) ينظر: تعليق الدكتور/ الحسن وكاك على المنبهة:2/405(بتصرف).

(22) نقله الحافظ ابن الجزري عن الهذلي عن ابن مجاهد في منجد المقرئين:ص53-54.

(23) ينظر: تدريب الراوي:1/40.

(24) ينظر: مصطلحات علم القراءات في ضوء علم المصطلح الحديث:2/821.

(25) ينظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين للإمام محمد بن الجزري:ص 57 (بتصرف).

(26) ينظر: بحث الأخذ والتحمل عند القراء لأستاذنا الدكتور: محمد بن سيدي محمد الأمين: ص343-344 (بتصرف)، مجلة البحوث الإسلامية العدد 70.

(27) ينظر: منجد المقرئين:ص3.

(28) ينظر: جهد المقل:ص109.

(29) ينظر: لطائف الإشارات:1/368 مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات:ص130.

(30) ينظر: : لطائف الإشارات:669/2، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات:ص121.

(31) ينظر: الرعاية:ص226.

(32) ينظر:الرعاية:ص89-90، التحديد في الإتقان والتجويد:ص67،الكتاب الأوسط في القراءات:ص75، الجامع المفيد في صناعة التجويد:ص85(بتصرف).

(33) ينظر: السبعة لابن مجاهد:ص45-46.

(34) ينظر:الجامع للأداء روضة الحفاظ=روضة المعدَّل:92/1-93.

(35) ينظر: التحديد:ص178.

(36) ينظر: التمهيد في معرفة التجويد:190.

(37) ينظر: رسالة تمكين المد في آتى وآمن وآدم وما أشبهه لمكي بن أبي طالب:ص48.

(38) ينظر: جهد المقل:ص110.

(39) ينظر: بيان جهد المقل:ص18.

(40) سيأتي مزيد من البيان في المطلب الآتي.

(41) ينظر: منجد المقرئين:ص53-54.

(42) ينظر: نظام الأداء:ص21.

(43) ينظر: المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر:209/2.

(44) ينظر:الجامع المفيد لصناعة التجويد:ص85.

(45) ينظر: الرعاية:ص52-53.

(46) ينظر:شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للإمام الداني:26/2.

(47) أي على الشيوخ المرضيين، نقلا عن الجامع المفيد في صناعة التجويد:ص114-115.

(48) ينظر:الرعاية:ص89-90، التحديد في الإتقان والتجويد:ص67،الكتاب الأوسط في القراءات:ص75، الجامع المفيد في صناعة التجويد:ص85.

(49) ينظر: منجد المقرئين:ص50-52(بتصرف).

(50) ينظر: منجد المقرئين:ص69.

(51) ينظر: شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للإمام الداني:20/2.

(52) ينظر: المصدر السابق.

(53) ينظر:منبهة الإمام المقرئ أبي عمرو الداني:530/2.

(54) ينظر: منبهة الإمام أبي عمرو الداني:403/2-405.

(55) ينظر: شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للإمام الداني:87/2.

(56) ينظر: شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للإمام الداني:87/2.

(57) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد:ص79-80، الجامع المفيد في صناعة التجويد:ص123.

(58) ينظر: شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للإمام الداني:161/2.

(59) ينظر: الموضح في التجويد:ص61.

(60) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد:ص95، الجامع المفيد في صناعة التجويد:ص153.

(61) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد:ص101.

(62) سورة المزمل، الآية: 4.

(63) ينظر: الإيضاح في القراءات:62/2.

(64) ينظر: شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني:20/1-21.

(65) ينظر: التمهيد في معرفة التجويد:ص247.

قائمة المصادر والمراجع:

- **الكتب:**

الإمام أبي عمرو الداني (ت.444هـ)، التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار الأردن، 2000م.

جلال الدين السيوطي (ت.911هـ)، تدريب الراوي في شرح تقريب، النواوي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط.3، دار الكتب الحديثة، مصر، 1385هـ.

أبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار، التمهيد في معرفة التجويد، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار 1420هـ.

أبي عمرو الداني (ت.444هـ)، التيسر في القراءات السبع، تحقيق: د. حاتم الضامن، مكتبة الصحابة، الشارقة- 1429هـ.

محمد بن أبي بكر الملقب بـ ساجقلي زاده، جهد المقل، تحقيق: د. سالم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، 1422هـ.

مكي بن أبي طالب القيسي (ت.437هـ)، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار عمار، (د.ت.)

الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور، ط.3، دار العلم للملايين، (د.م.)، 1404هـ.

أبي الفتح جعفر بن إبراهيم السنهوري (ت.894هـ)، كتاب الجامع المفيد في صناعة التجويد، تحقيق: د. مولاي محمد الإدريسي الطاهري، دار ابن حزم، بيروت، 1430هـ.

أبي بكر بن مجاهد (ت.324هـ)، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، ط.3، دار المعارف،(د.ت.)

أبي محمد الحسن بن علي بن سعيد المقرئ العماني (ت. بعد 413هـ)، الكتاب الأوسط في علم القراءات، تحقيق د. عزة حسن، دار الفكر، دمشق، 1427هـ.

أبي الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط. دار صادر، بيروت، 1410هـ.

أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت.923هـ)، لطائف الإشارات لفنون القراءات: تحقيق مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، السعودية، (د.ت.)

أبي طاهر أحمد بن علي عبيد الله بن عمر بن سوار (ت.496هـ)، المستنير في القراءات العشر تحقيق ودراسة: د. عمار أمين الددو، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 2426هـ.

المبارك بن الحسن بن أحمد، أبو بكر الشهرزوري (ت.550هـ)، المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر، تحقيق: عثمان غزال، دار الحديث القاهرة، 1428هـ.

عبد العلي المسئول، مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، (د.ن.)، 1428هـ.

محمد بن شريح الرعيني (ت.476هـ)، مفردة يعقوب، تحقيق: د. مهدي دهيم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، 1431هـ.

أبي عمرو الداني (ت.444هـ)، منبهة الإمام المقرئ أبي عمرو الداني (ت.444هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د. لحسن بن أحمد وكاك، 1430هـ.

أبي الخير محمد بن الجزري، (ت.833هـ)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، اعتنى به: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، 1419هـ.

عبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت.461هـ)، الموضح في التجويد، تقديم وتحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، 1421هـ.

أبي الخير محمد بن الجزري، (ت.833هـ)، النشر في القراءات العشر، تصحيح علي محمد الضباع، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت.).

ابن الطحان الإشبيلي، نظام الأداء في الوقف والابتداء، تحقيق: د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، 1406هـ.

***المجلات:**

مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة عن الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض، ع.70 (بحث الأخذ والتحمل عند القراء).

*** الرسائل العلمية:**

الإمام الحافظ المقرئ أبي عبد الله أحمد بن أبي عمر الشهير بالأندرابي (ت. بعد500هـ)، الإيضاح في القراءات دراسة وتحقيق: د. منى عدنان غني، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، من كلية التربية للبنات في جامعة تكريت –العراق–.

الإمام أبي عمرو الداني (ت.444هـ)، شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني التي قالها في القراء وحُسن الأداء دراسة وتحقيق: غازي بنيدر العمري، رسالة علمية ماجستير بقسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين–جامعة أم القرى– السعودية، 1418هـ.